تقرير

# أطفال سوريا كبروا قبل الأوان: الحرب في عيون «الآمنين»

الجوع والبرد والتشرد ومشاكل الأطفال في مختلف المناطق غدت، بعد مرور أربع سنوات، أزمة تنمو على أكتاف ما يسمى «جيل الحرب». اليوم في مناطق «آمنة»، يتصرف بعض الأطفال كأنهم لا يزالون في خطر

اللاذقية ـ يارا أمير محمد

اللاذقية، واحدة من المدن الآمنة نسبياً في سوريا، شهدت خلال السنوات الأربع الفائتة اختلاطاً كبيراً بين أطفال قدموا إليها من مختلف المناطق، ولكل منهم قصّته التي يحكيها بمرارة الكبار، بعدما حملتهم الأزمة إلى أعمار افتراضية أكبر ممّا هم عليه.

فارس، ابن السنوات الثلاث، النازح من منطقة حرستا في ريف دمشق، يأتي إلى الروضة كلّ يوم حاملاً معه بندقيّة بلاستيكية، بحسب ما تقوله مديرته، وتتابع شارحةً: «إنه يأكل ويشرب والبندقية في يده لا تفارقه، وحالما يسمع صوتاً يوجّهها مباشرة إلى مصدر الصوت». وبينما الأطفال منهمكون باللعب في حديقة الروضة، يجلس ربيع منزوياً صامتاً، كرجل ستينيّ، يراقب رفاقه حزيناً على حياة فارقها، ولم تعد ملونة كما كان يرسمها في بيته الصغير الذي غادرته أمّه مع بداية الأزمة نتيجة خلاف طائفي مع زوجها. إذاً، لم تكن مشكلة ربيع ناجمة عن مشاهد عنف ودماء، بل هي ندبة تركها في روحه مشهد والدته وهي تحمل السلاح بوجه زوجها، مهددة إيّاه بالقتل إن لم يسمح لها بالعودة إلى أهلها في ريف دمشق. يومها أخبره والده أنّ السلاح بيد أمّه كان مجرّد لعبة بلاستيكية حاولت ممازحته بواسطتها، وأنّها غادرت البيت في زيارة قصيرة وستعود بعد أيام. ثلاث سنوات مرّت، وربيع ينتظر عودة والدته من زيارتها مدينة القصير. يقول والده: «توقّف ربيع عن الكلام منذ أن غادرت والدته البيت، نسيت حنانها له خلف الباب ولم تعد».

طفل آخر يروي لنا بحرقة ما صمت عنه الإعلام السوري، فريبال القادم من منطقة ساخنة، قرية الرمادية في ريف اللاذقية، كان جريئاً بنقله مشاهداته في تلك المنطقة بواقعية وبراءة. يقوم ريبال ورفاقه بتمثيل مسرحيّة تتوزّع فيها الأدوار بين مسلّحين وعناصر من الجيش السوري، يتقن فيها ريبال تمثيل الهجوم العنيف ونداءات الاستغاثة.

«باتت هذه لعبته المفضّلة» تقول معلّمة ريبال، وتتابع: «تلك العلاقة العدائية تفقد براءتها عند لحظة تصادم حقيقي مع أقرانه، إذ يتحول مشهد العنف بشكل تلقائي إلى استخدام الضرب بين زملائه أثناء اللعب». الطفل الذي نجا من الموت والخطف بأعجوبة، لم يعد يقلّد شخصيّة «سوبرمان» بل اختار أن يتلبّس دوماً شخصيّة المسلّح.

قصص مؤلمة منحتها الحياة لريبال وربيع وفارس في عمر مبكر، في الوقت الذي اختارت فيه غيرهم الكثيرين لمشاهد أكثر قسوة، ومواجهات مباشرة مع الموت العشوائي. ففي ساحة كنيسة ديمتريوس، في حلب، لم توفر القذائف أطفالاً نزحوا من إدلب وحماه كانوا يلهون في ساحة الكنيسة، وتصف سارا، ابنة الأحد عشر ربيعاً، ذلك اليوم بأسى شديد: «حين كنا صغاراً، كانت أمي تقول عندما أضرب أخي وهو يشرب، إنّ الضرب أثناء الشرب حرام، ولو كان الشارب أفعى. في ذلك اليوم، سقط أمام عيني ثلاثة أطفال وهم يشربون. ألا يعلم المسلحون أنّ ذلك حرام»، تقول سارا ذلك ببراءة الطفولة، من دون أن تعلم أن الحرب لا أخلاق لها.

مفردات جديدة عرفت طريقها إلى عقول أطفال سوريا. هي مفردات الحرب بكل قسوتها. فلم تعد تستغرب أن يعرف طفل نوع الرصاصة الفارغة التي يحملها إلى معلّمته ليقول لها إنها رصاصة غالية عليه لأنّ صديق والده، الذي أحبّه، قتل بها. كما تتمكّن قمر، الطفلة، من تمييز أنواع الصواريخ نتيجة صوتها فقط حين انفجارها، تروي مشرفة اجتماعية تعنى بشؤون الأطفال.

يقول الكثير من الأهالي إنهم حاولوا منع أطفالهم من رؤية مشاهد العنف والدماء، ولكن لم يستطيعوا إغماض أعين أطفالهم كل يوم، فمواقع الإنترنت لم توفر يوماً نشر تلك الصور، بكل ما تحمله من اللاإنسانية. ولم يغب الدور السلبي للشاشة الصغيرة عن ذلك.

إنهم أطفال سوريا اليوم، كبروا قبل أوانهم، يختزنون مشاهد العنف والموت، ويحلمون بمستقبل تغيب فيه تلك المشاهد لصالح أمنيات طفولية يرغبون في تحقيقها.

لم تعد تستغرب أن يعرف طفل نوع الرصاصة التي يحملها (أ ف ب)

الواصل ريف دمشق الغربي بمحافظتي درعا والقنيطرة، وصولاً إلى الحدود مع الجولان المحتل. ويأتي ذلك رغم تحييد القرية، التي تبعد عن دمشق 40 كلم جنوباً، عن المعارك الدائرة جنوباً، بسبب التعداد السكاني الكبير داخلها، غير أن مخاوف المسلحين زادت بعد سيطرة الجيش على تل مرعي مؤخراً. وتؤكد المصادر أن تقدم الجيش توقف خلال الأحوال الجوية العاصفة، وتركز على استهداف مدفعي متواصل حول تلال فاطمة، ومواقع للمسلحين في كفر شمس والشيخ مسكين.

على الموقع:
■ غارات لـ«التحالف» على «النصرة» في ادلب

يمتلك حرفة أو شهادة جامعية فقد اضطر للعمل بأعمال بسيطة لا تمتّ للسياحة بصلة. ويذكر، عساف، أنّ آخر وفد سياحيّ رافقه يعود لتاريخ 23 نيسان 2011 «أي منذ الأشهر الأولى لاندلاع الأزمة، حيث أوقفت غالبية الشركات السياحية رحلاتها إلى سوريا برغم أنّ الأوضاع الأمنيّة آنذاك لم تكن بهذا السوء». ومن خلال عمله في كليّة السياحية يؤكّد الدكتور عساف، أنه يعمل على تأهيل جيل جديد، وتزويده الخبرات التي يملكها، آملاً «أن يتمكّن هؤلاء الشباب من العمل مستقبلاً حال وقوف الحرب، وتحسّن الظروف الأمنية». غير أنّه لا يخفي قلقه، برغم إيمانه بإمكانات سوريا ومستقبلها، «فغالبية الأدلاء السياحيين غادروا البلاد، ولا شيء يضمن عودتهم بعد استقرار الأوضاع»، الأمر الذي يجعله عاقداً الأمل على الجيل الجديد من طلّابه الذين يرى أنّهم مظلومون اليوم بحكم عدم قدرتهم على القيام بجولات عمليّة، ولا التعرّف إلى وجه سوريا الحقيقيّ، و«موادهم العمليّة تقتصر على الصور والأفلام، وجولات في المناطق المحيطة بدمشق في أحسن الأحوال» على حدّ تعبير عساف.

من المعروف أنّ الأدلاء السياحيين في سوريا لم يمتلكوا يوماً ضمانات عمل أو تعويضات، وجلّ ما استطاعوا الحصول عليه هو جميعة تأسست عام 1996 اهتمّت بإقامة النشاطات الاجتماعية، غير أنّ هذه الجمعيّة لم تعمّر طويلاً، إذ جرى حلّها بقرار جائر من وزيرة الشؤون الاجتماعية والعمل عام 2008، ولم يبق للأدلاء غير غرفة السياحة التي لم تقدّم لهم خدمات تذكر باستثناء التأمين الصحّي الذي تراجعت فاعليته لاحقاً بحكم ما لحق بالأدلاء من بطالة.

تقرير

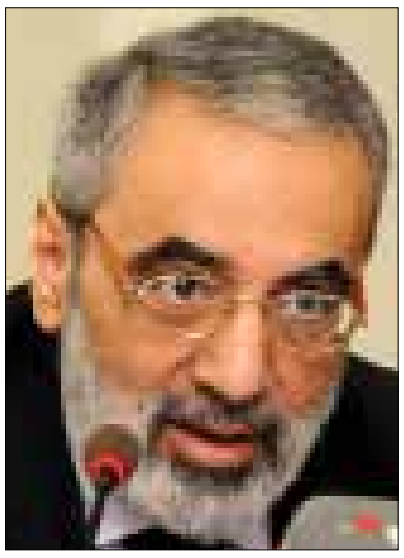



# نجاح هدنة حلب في أيدي «مموّلي الإرهاب»

تزامناً مع المعارك المستعرة داخل مدينة حلب وفي ريفها الشمالي، وتأكيد المبعوث الأممي إلى سوريا ستيفان دي ميستورا موافقة دمشق على تجميد قصف مناطق نفوذ المسلحين في مدينة حلب لستة أسابيع، رأت الحكومة السورية أمس أنّ نجاح مبادرة الأمم المتحدة لتجميد القتال في حلب يعتمد على مدى قدرة الدول الداعمة للمسلحين على إجبارهم على الالتزام بالهدنة. وأكدت على لسان وزير الاعلام عمران الزعبي أنّه لم يتم بعد وضع جدول زمني للهدنة التي يعمل من أجلها دي مستورا. وفي مقابلة مع «رويترز»، رأى الزعبي أنّ الحديث عن «تجميد القصف هو جزء من تجميد القتال، بمعنى أن تجميد القتال يقع على عاتق جميع الاطراف المسلحة الموجودة في حلب». وأضاف: «الحكومة السورية ما زالت تدرس ما قاله السيد دي مستورا منذ اللحظة الاولى، وعندما يأتي الى دمشق ستكون هناك إجابات دقيقة وواضحة من قبل الحكومة».

في المقابل، قال رئيس «الائتلاف» المعارض خالد خوجا إن «قيادة الأركان وجميع فصائل الجيش الحر المنضوية تحتها تلتزم ببنود وقف إطلاق النار في حلب، إن أعلن، في حال الوصول إلى حل حقيقي يحقق الأمان للشعب السوري». وأضاف خوجا: «لنا تجربة كبيرة مع نظام (الرئيس بشار) الأسد وتصرفاته خلال الأعوام الأربعة الماضية، وخرقه للهدن والاتفاقات التي أبرمها مع الثوار يدل على أنه يراوغ لكسب الوقت، والعودة إلى التصعيد بشكل أكثر وحشية».

وعن رأيه في خطة دي مستورا أفاد بأنّ «الائتلاف يرحّب بأي مسعى لوقف القتل، وإراقة المزيد من الدماء في سوريا، وهذا موقف الائتلاف منذ تأسيسه، حيث أطلعه المبعوث الدولي قبل أيام على أفكاره، وأخبره بأنها بحاجة إلى مناقشة التفاصيل بشكل أكبر. فوقف القصف الجوي يجب أن يشمل جميع المدن ويتلازم مع وقف القتل على الأرض أيضاً».

وكشف رئيس الائتلاف أنه «من أجل الوصول إلى حل شامل، لا يرضى الائتلاف بحلول مؤقتة، فيجب أن تتضمن المبادرة أيضاً وقف مختلف وسائل القتل الأخرى، ومحاربة الإرهاب بما فيها إرهاب الدولة، فالأخير ليس شريكاً في الحرب على الإرهاب ولن يكون».

من جهته، وتعليقاً على الخطة، أكد وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو أن بلاده تدعم وقف إطلاق النار، حتى وإن كان لمدة ستة أسابيع، مشكّكاً «في احترام نظام الأسد للخطة والتزامه بها، في الوقت الذي يواصل فيه قتل مئات المدنيين في حلب عبر الغارات الجوية».

وقال جاويش أوغلو: «لقد جاءنا دي مستورا بخطط ومقترحات مشابهة في وقت سابق، ودعمناها مبدئياً رغم بعض تحفظاتنا عليها، خصوصاً في مسألة تنفيذها، لأن وقف إطلاق النار ليوم واحد يعني تجنيب المئات الموت».

(الأخبار، رويترز، الأناضول)